أدب الجاحظ

تأليف حسن السندوبى ، ٢٤٧ صفحة ، ١٦ ١/٤ سم . × ٢٤ ١/٤ سم .
الثمن ٢٠ قرشاً ، المطبعة الرحمانية بمصر

لا يعنينا من التحدث عن هذا السفر النفيس فى هذه المجلة سوى الناحية الشعرية وإن كان يجب أن يعنى كل أديب يقدِّر شأن الجاحظ فى الادب العربى من وجهةٍ عامة ، وناهيك بكتاب أخرجته غيرة أديب مثقف كالسندوبى أحبَّ الجاحظ وعمل على جمع أخباره وتتبع روائعه سنين عديدة حتى جاء تصنيفه هذا دائرة معارف جليلة عن علَم من أعلام النثر العربى فى جميع العصور .

قال السندوبى : « تعلق الجاحظ بالشعر وحاول التبريز فيه والتفوّق فى مناحيه تبريزه فى النثر وتفوقه فيه وارتقاءه الى قمته وقبضه على ناصيته . ولكن الطبيعة أشدُّ ضَنّاً من أن تبلغ بانسان ذؤابة الكمال ، ولذلك لم ينل من الشعر ما أمَّل ولم يبلغ فيه ما قدَّر ، فرجحت كفة ميزانه فى النثر وشالت أختها فى الشعر . وكان يقول : طلبتُ علم الشعر عند الاصمعى فوجدته لا يعرف الا غريبه ، فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يحسن إلاَّ إعرابه ، فعطفت على أبى عبيدة فرأيته لا ينقل الا فيما اتصل بالاخبار وتعلق بالانساب والأيام ولم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات » .

وكان فى صباه يعد العروض ميزان الشعر ومعياره فلما لم يأنس اليه ولم ينل منه مأربه تناوله بالانتقاص فيما بعد ، وهذا طبيعى من الجاحظ لانه كان حرّاً يكره غالباً الاسجاع والاوزان فلم يكن من اليسير تعوده النظم ، ثم انه بفطرته غير شاعر بل حكيم دقيق ، وقد يستوعب الشعرُ الحكمةَ ولكنَّ الحكمة وحدها لن تخلق الشعر ، وهذا حكم الجاحظ نفسه على رجال العلم الذين قصد اليهم فى بداية دراسته للشعر والعروض . ولكن الجاحظ يقدر مع ذلك الوزن والروىّ بالنسبة لتأثير الشعر

المنظوم فى النفوس حتى قال إنه لا يُستطاع أن يُترجَم ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حُوِّلَ تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه وصار كالكلام المنثور ، والكلام المنثور المبتدأ على ذلك احسن من المنثور المنقول عن موزون الشعر . وقد نُقِلت كتب الهند وتُرجمتْ حكم اليونان وحُولت آداب الفرس فبعضها ازداد حُسناً وبعضها ما انتقص شيئاً . ولو حُوِّلت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذى هو الوزن ، ثم أنهم لو حوّلوها لم يجدوا فى معانيها شيئاً لم تذكره العجم فى كتبهم التى وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم . وقد نُقلت هذه الكتب من أمة الى أمة ومن قرن الى قرن ومن لسان الى لسان حتى انتهت الينا ، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها » .

ورأيُنا أنّ خيرَ الشعر فى جوهره ما قبلتْ معانيه النقلَ الى أية لغة دون أن تفقد رواءَها الفنى المستمدّ من خيالها ومغزاها وابحاثها ، وهذا لا ينفى اعتبارنا لأثر الايقاع الموسيقى فى النفوس . وليس رأى الجاحظ الاّ رأياً غريباً عما يحسّ به الشاعر الصميم . ومما يروى للجاحظ من الشعر قوله :

وكان لنا أصـــــدقاءٌ مَضَوْا تفانَوْا جميعـــاً وما خلَّدوا
تساقَوْا جميعاً كؤوسَ المنـــــو نِ فمات الصديقُ ومات العدُو

وقوله وهو مريض :

لئن قُدِّمتْ قَبْلى رجالٌ فطالما مَشَيْتُ على رِسْلى فكنتُ المقدّمَا
ولكنّ هذا الدَّهرَ تأتى صُروفُه فتبرمَ منقوضاً وتنقضَ مُبْرَمَا

ومثل هذا النظم يزدان بالحكمة ولكنه ضعيف الشاعرية . والشعر قد يُلقَط من أفواه العامة ولكنه ليس مما يبتدعه تصنُّع العلماء والفقهاء ، وقد الجاحظ أنصف نفسه والشعر بتخليه عنه .

***

اسواق الذهب

تأليف أحمد شوقى بك ، ١٣٤ صفحة ، ١٦ ١/٤ سم . × ٢٤ ١/٤ سم .
الثمن خمسة قروش ، مطبعة الهلال بالقاهرة .

يتضمن هذا الكتاب طرائف من حكمة شوقى بك ونماذج من شعره المنثور وقد لجأ الى السجع فى فصول منه ودافع عن السجع غير المتكلف بقوله (ص١٠٨) :

« السجعُ شعرُ العربية الثانى وقوافٍ مرنة ريضة خُصَّت بها الفُصحى ، يستريح اليها الشاعر المطبوع ، ويرسل فيها الكاتب المتفنّن خيالَه ، ويسلو بها أحياناً عما فاته من القدرة على صياغة الشعر ، وكل موضع للشعر الرصين محلٌّ للسجع ، وكل قرار لموسيقاه قرارٌ كذلك للسجع ، فانما يوضع السجعُ النابغ فيما يصلح مواضع للشعر الرصين ، من حكمةٍ تُخترَع أو مَثَلٍ يُضرَب أو وصفٍ يساقُ ، وربما وُشِّيَتْ به الطوالُ من رَسائل الادب الخالص وُرصِّعَتْ به القصارُ من فقر البيان المحض ، وقد ظلم العربية رجالٌ قبَّحُوا السجع وعَدُّوه عيباً فيها ، وخلطوا الجميل المتفرّد بالقبيح المرذول منه يوضع عنواناً لكتاب أو دلالة على باب أو حشواً فى رسائل السياسة أو ثرثرة فى المقالات العلمية . فيا نشءَ العربية ان لغتكم لسرّيةٌ مثريةٌ ولن يضيرها عائب ينكرُ حلاوةَ الفواصل فى الكتاب الكريم ، ولا سجع الحمام فى الحديثِ الشريفِ ، ولا كل مأثور خالد من كلام السلف الصالح » . وهو بذلك يقرر مذهباً له ، وفى اعتقادنا انه قلما يكون السجع خالياً من التكلف برغم المرانة الطويلة الا لأفذاذ من أمثال شوقى بك ، وانّ ضبط القوافى أسهل من ضبط السجع . بيد أن من لا يطيب له السجع لن يحرم النماذج التى تبهجه من «أسواق الذهب» ، مثال ذلك مقطوعته عن الجمال (ص ١٠٤) إذْ يقول : « جمعت الطبيعةُ عبقريتها فكانت الجمال ، وكان أحسنَه وأشرفَه ما حلَّ فى الهيكل الآدمىّ ، وجاور العقلَ الشريفَ والنفسَ اللطيفةَ والحياةَ الشاعرة . فالجمالُ البشرىُّ سيدُ الجمال كلّه . . . لا المثّال البارع استطاع أن يخلقه على الدُّمى الحسان ، ولا للنيِّرات الزُّهْر فى ليالى الصحراء ما له من لمحةٍ وبهاء ، ولا لبديع الزَّهر وغريبه فى شباب الربيع ما له من بشاشةٍ وطيب . وليس الجمالُ بلمحة العيون ، ولا ببريق الثغور ، ولا هَيَفِ القدود ، ولا لؤلؤ الثنايا وراء عقيق الشفاه ، ولكن شعاعٌ عُلْوِىٌّ يبسُطُه الجميلُ البديعُ على بعض الهياكل البشرية يكسوها روعةً ويجعلها سحراً وفتنةً للناس» . وهذه النبذة من رائع شعره المنثور.

وبعد ، فقد كنا ولا نزال نعتبر شوقى بك فى طليعة من أنجبتهم العربية من الشعراء الموسيقيين ، وهذه الروح الموسيقية تتجلّى حتى فى « أسواق الذهب » الذى نعده كتاباً مدرسياً للغة وللاسلوب الكلاسيكى ولصور من الحياة والمعانى العصرية ، وهو بهذا أولى بالدراسة من كثير من الكتب العتيقة الشائعة فى البيئات المدرسية .

من أشهى الأمانى التى طالما جالت فى صدور الشعراء أن تنشأ بينهم رابطة تعاونية تصون كرامتهم وصوالحهم الأدبية والمادية دون أن يضحّوا فى سبيلها بمذاهبهم الخاصة ، وإنْ تكنْ مثل هذه الرابطة فى ذاتها مدرسةً نقديةً ووسيلةً للتفاهم فيما بينهم وتقريب آرائهم بعضها من بعض وتبادل الخواطر والنزعات الاصلاحية . وما أجَّل تكوين مثل هذه الجامعة سوى الروح الفردية التى ما تزال متفشّيةً فى بلاد العروبة وإنْ كانت روح التعاون أخذت فى الظهور حديثاً بصورةٍ تدعو الى الارتياح والتأميل.

ونحن نعدّ من حظنا النجاح فى تأسيس (جمعية أبولو) وأن ينتظم فى سلكها جمهرةٌ من كبار الشعراء والنقاد ، كما نغتبط لاستطاعتنا التوفيق بين مذاهبهم المختلفة حيثما ينبغى ذلك التوفيق ، ونرجو أن يتبع ذلك ما نتمناه من تعاون أدبى واصلاح .

وسيرى حضرات الأدباء فى مواد الدستور الآتى نظاماً عملياً سهلا دلَّتْ الخبرة على نجاح نظيره فى جمعيات أخرى ، ويُلاحَظ أن العنصر المالى لا أثر له فيه بحيث اذا استدعى أىُّ مشروع خاص مالاً له جُمع هذا بالاكتتاب . وأمَّا النفقات الاعتيادية للجمعية فتؤخذ من ايراد هذه المجلة إذْ ليست لها أيةُ صبغة تجارية . وقد أذعنا الدعوة الى هذه الجمعية من قبل ولا تزال أبوابها مفتوحة للشعراء خاصة ولمحبى الشعر ونقّاده عامة ، لأن فائدة مثل هذه الجمعية تعظم باتساع نطاقها وأعمالها ، كما أن قيمتها تضيع اذا ما أصبحت — لا قدّر الله — هيئةً حزبيةً ، وما قتل العلم والأدبَ فى بلادنا الا التحزُّبُ الشخصى الذميم .

ولنا غبطةٌ أخرى بنجاح هذا العمل وهو تدعيم الصحافة والهيئات الفنية فى مصر بهذه المؤسَّسة الجديدة فان ثقافتنا القومية يعوزها تكوين هذه المؤسَّسات ونموُّها ، وكرامتنا الأدبية ترتبط بذلك . ومن الخطأ الكبير أن تشغلنا السياسة عن كل ما عداها وخصوصاً عن الاقتصاديات والعلوم والفنون التى يجب أن تُعَدَّ من أقوى دعائم الاستقلال القومى .

***

دستـــــور

جمعية أبولو

المادة (١) — الاسم : يطلق على هذه الهيأة الأدبية اسم « جمعية أبولو » .

المادة (٢) — مركز الجمعية وفروعها :

(أ) تكون القاهرة (عاصمة مصر) موطن المركز الادارى للجمعية .

(ب) يجوز انشاء مراكز فرعية للجمعية فى شتى الاقطـار باذن مجلس الجمعية

المادة (٣) — أغراضهـا :

(أ) السمـوّ بالشعر العربى وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً .

(ب) ترقية مستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً ومادياً والدفاع عن صوالحهم وكرامتهم.

(ج) مناصرة النهضات الفنّـية فى عالم الشعر .

المادة (٤) — الأعضـاء :

(أ) عضوية الجمعية مفتوحة فى جميع الاقطار للشعراء خاصة وللادباء ومحبى الأدب عامة ممن يهمهم تقدم أغراض الجمعية ، وتُرسَـل الطلبات بغير رسم الى السكرتير .

(ب) للأعضاء أن يستقيلوا حينما يشاؤون، ولـكن عليهم أن يعززوا بأمانة أغراض الجمعية مادامو محتفظين بعضويتهم .

(ج) لمجلس الجمعيـة أن يعتبر الأعضاء الذين يتصرّفون ضدّ أغراض الجمعية فى حكم المستقيلين .

المادة (٥) — المجلس :

(أ) يتألف مجلس الجمعية من خمسـة عشر عضواً ، وهم الرئيس ونائبا الرئيس والسكرتير الدائم ومن الخمسة الأول من أعضائه الأصليين ومن ستة آخرين

لاتمام العدد القانونى ، وهؤلاء ينتخبهم المجلس سنوياً من بين أعضاء الجمعية مع العناية الخاصة بتمثيل البيئات الشعرية المختلفة وذلك فى الاسبوع الأول من شهر سبتمبر .

(ب) فى حالة الوفاة أو الاستعفاء يحلّ أقدمُ الأعضاء المنتخبين محل الأصليين ويُكمِّل المجلس العدد القانونى بالانتخاب من بين أعضاء الجمعية فى اول جلسة للمجلس .

(ج) تتألف من بين أعضاء المجلس لجنةٌ تنفيذيةٌ قوامُها الرئيس (أو أحد نائبيه فى حالة غيابه) والسكرتير الدائم وثلاثة أعضاء يختارهم المجلس ومهمتها تنفيذ قرارات المجلس واعداد المباحث والمشروعات لدراسته .

(د) على المجلس أن ينعقد مرة كل ثلاثة شهور على الأقل بعد أن يعلن السكرتير الأعضاء بذلك قبل موعد الاجتماع باسبوع . ولا تكون قرارات المجلس صحيحة إلا إذا حضر اجتماعه خمسة أعضاء على الاقل .

المادة (٦) — الرئيس ونائبا الرئيس والسكرتير :

(أ) ينتخب المجلس سنوياً من بين أعضاء الجمعية رئيساً له ، ويجوز اعادة انتخابه، كما للمجلس أن يختار رئيس شرف للجمعية من بين كبار الرجال الممتازين المناصرين لأعمالها .

(ب) ينتخب المجلس سنوياً نائبين للرئيس ويجوز إعادة انتخابهما .

(ج) يتولّى رئيس تحرير مجلة (أبولو) ومؤسس هذه الجمعية سكرتاريتها بصفة دائمة ، ويتولى بعد وفاته أو بعد اعتزاله السكرتارية من يتولى تحرير المجلة المذكورة .

المادة (٧) — لسان حال الجمعية :

تُعتبر مجلة (أبولو) لسان حال الجمعية .

المادة (٨) — المؤتمرات والحفلات :

(أ) يكون للجمعية مؤتمر سنوى عام ، وللمجلس تعيين تاريخ ومكان الاجتماع وبرنامجه .

(ب) للمجلس أن يقرر عقد مؤتمرات خاصة وغيرها من الحفلات المناسبة متى شاء ، إما مستقلاً أو بالتعاون مع هيئات أخرى .

المـادة (٩) — تعديل الدستور :

للمجلس أن يدخل تعديلات فى دستور الجمعية ما دامت هذه التعديلات متفقة وروح الدستور العامة ولا تتعارض مع القواعد الاساسية المدوَّنة فيه ، بشرط مراعاة الرغبات العامة الغالبة للأعضاء وبعـد الاعلان عن التعديل المقترح فى مجلة (أبولو) قبل موعد الاجتماع الذى سيُـطرَح فيه التعديل بثلاثة شهور ، وتصدر قرارات المجلس فى ذلك بأغلبية أربعة أخماس مجموع أعضائه فى جلسة كاملة الهيئة .

فى السجن

نظم ابن زيدون هذه القصيدة الجائشة بالحزن مع التصبر والألم وهو فى السجن وبعث بها الى صديقه الوزير الكاتب أبى حفص بن برد ، وقـد اخترنا نشرها مع بعض التعليق الأدبى لمناسبة ظهور ديوان ابن زيدون الذى سنتناوله بالملاحظة فى العدد الآتى :

ما على ظَـنِّىَ بَاسُ ... يجرح الدَّهْرُ ويأسُو
رُبَّما أشرفَ بالمَرْ ... ءِ على الآمالِ ياسُ
ولقـد يُنْجيكَ إغفا ... لُهُ ويُرْدِيك احـتراسُ
والمحـاذيرُ سِهَـامٌ ... والمقاديرُ قِيـاسُ (١)
ولكم أجْدَى قُعُودٌ ... ولكم أكْدَى التماسُ (٢)
وكذا الدَّهْرُ : إذا ما ... عـزَّ ناسٌ ذلَّ ناسُ
وبنـو الأيَّامِ أخيـا ... فٌ (٣) سَرَاةٌ وخِساسُ

(١) قياس : جمع قوس (٢) اجدى : اغنى ، اكدى : اخفق (٣) اخياف : مختلفون